درية شفيق

«بنت النيل» الثائرة

- حياتها رحلة كفاح من أجل حقوق المرأة.
- سنة ١٩٥٤م، كانت واحدة من أهم عشر سيدات فى العالم.
- قالت: «إرادة المرأة يمكن أن تبطل أى قانون لا ينصفها»
- رئيسة تحرير وصاحبة مجلات «بنت النيل» ، «المرأة الجديدة» و «الكتكوت»
- رئيسة اتحاد بنت النيل النسائى
- ماتت منتحرة إحتجاجاً على الظلم.

وصفتها جريدة «ديلى ميرور» الإنجليزية بأنها تحاول أن تتشبه بكليوباترا، وبأن حياتها سلسلة طويلة من الكفاح من أجل حقوق المرأة المصرية، وقالت وكالات الأنباء أنها كانت فى سنة ١٩٥٤م واحدة من أهم عشر سيدات فى العالم، إنها الدكتورة درية شفيق رئيسة «اتحاد بنت النيل» ورئيسة تحرير وصاحبة مجلات: «بنت النيل» و«المرأة الجديدة» و«الكتكوت».

فى مذكراتها قالت الدكتورة درية شفيق: «لقد تعلمت فى طفولتى المبكرة أن إرادة المرأة يمكن أن تُبطل أى قانون لا ينصفها».

وهكذا كانت حياتها سلسلة نضال وكفاح من أجل حقوق المرأة المصرية وحريتها.

وُلِدَتْ درية شفيق فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٠٨م فى مدينة طنطا، وكانت الطفل الثالث لوالدها المهندس أحمد شفيق، ووالدتها «رتيبة ناصف» والأبنة الثانية لأسرتها التى انتقلت بعد ذلك إلى المنصورة، وفى هذه الفترة كانت هناك ثلاث مجموعات أو أحزاب سياسية مؤثرة فى الحياة السياسية فى مصر حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى.

وهذه الجماعات هى «الحزب الوطنى» بقيادة مصطفى كامل (١٨٧٤-١٩٠٨) الذى طالب على صفحات جريدة «اللواء» بالجلاء العاجل للإنجليز حتى ولو بالقوة، وحزب الأمة بقيادة لطفى السيد (١٨٧٢-١٩٦١) الذى كان يرى أن الموضوع الأولى بالرعاية هو تعديل وسن القوانين التى تضع مصرا على عتبة المدنية الحديثة، وعرفت الاتجاهات الإسلامية المعروفة بالسلفية التى أسسها الشيخ محمد عبده (١٨٤٩-١٩٣٥).

وفى سنة ١٩١٥م عادت درية إلى طنطا لتلتحق بمدرسة «نوتر دام» حيث أتمت دراستها الابتدائية الثانوية، وكانت تقيم فى هذه الفترة مع جدتها خديجة، حيث توفيت والدتها سنة ١٩٢٠، وعادت إلى الإسكندرية لتعيش مع والدها فى عام ١٩٢٢ وفى سنة ١٩٢٢ التحقت درية بمدرسة «الليسيه فرانسيه» لتحصل على شهادة البكالوريا، وحصلت عام ١٩٢٤م على ميدالية فضية لفوزها بالمركز الثانى فى أمتحان التوجيهية على مستوى القطر المصرى.

ملكة جمال

وفى سنة ١٩٢٨، وبمساعدة هدى شعراوى حصلت درية شفيق على منحة من وزارة المعارف لاستكمال دراستها فى فرنسا، ودعتها هدى شعراوى لإلقاء خطاب على مسرح الأربكية فى مايو، وكانت هذه هى المرة الأولى التى تلقى فيها درية خطاباً فى الاتحاد النسائى المصرى، وفى أغسطس أبحرت إلى فرنسا لتدرس فى جامعة السوربون، وحصلت درية شفيق على درجة الليسانس سنة ١٩٣٢م، حيث عادت إلى الإسكندرية لتقيم مع والدها، وهناك اشتركت فى مسابقة ملكة جمال مصر، حيث نالت شهرة واسعة وتعرفت إلى الصحافى أحمد الصاوى، وتزوجا أسابيع قليلة سنة ١٩٣٥، ثم انفصلت عنه لتعود إلى السوربون بعد أن قررت ألا تتزوج مرة أخرى.

وأثناء وجودها فى باريس التقت مرة أخرى مع ابن خالتها نور الدين رجائى الذى عرض عليها الزواج، فوافقت وسافرا إلى إنجلترا لقضاء شهر العسل سنة ١٩٣٧، وعادا إلى أرض الوطن حيث احتفلت الأسرة بزواجهما، وكان زوجها قد حصل على الدكتوراه سنة ١٩٣٩ فى القانون.

وفى سنة ١٩٤٠م سافرت درية شفيق إلى باريس لمناقشة رسالتها، حيث حصلت على درجة الدكتوراه، لتعين مفتشة للغة الفرنسية فى وزارة المعارف، وقد رزقت الدكتورة درية شفيق فى ٦ مارس ١٩٤٢م بطفلتها عزيزة ثم رُزقت فى ١٧ أغسطس ١٩٤٤م بابنتها جيهان.

وكانت درية شفيق على علاقة وثيقة بالأميرة شويكار التى جعلتها ترأس تحرير مجلة «المرأة الجديدة» فى عام ١٩٤٥م، وهو العام الذى أصدرت فيه درية مجلتها «بنت النيل»، ثم أصدرت مجلة للأطفال سنة ١٩٤٦ سمتها «الكتكوت» وفى سنة ١٩٤٧م فقدت درية شفيق صديقتها الأميرة شويكار، ثم السيدة هدى شعراوى.

وكونت درية شفيق «اتحاد بنت النيل» سنة ١٩٤٨ الذى كان من مبادئه تعديل الدستور على نحو يؤكد أن الأمة مصدر السلطات، وتعديل قانون الانتخابات بما يسمح للمرأة بمزاولة حق الأنتخاب والترشيح، وتعديل قانون التجنيد الإجبارى لتمكين المرأة من المساهمة مع الرجال فى الدفاع عن أرض الوطن، وكفالة حرية الرأى للأفراد جميعاً وفى مقدمتها حرية الصحافة والعمل على أن تتولى المرأة جميع وظائف الدولة متى استوفت المؤهلات والشروط المقررة لها، والمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة فى الحقوق والالتزامات، والسعى لتحقيق الاستقلال التام لمصر والسودان وتحقيق الوحدة بينهما بالوضع الذى يرتضيه شعب وادى النيل، وتدعيم الجامعة العربية والتمسك بعروبة فلسطين، وتقييد حق تعدد الزوجات وحق الرجل فى الطلاق.

تظاهرة نسائية إلى البرلمان

فى سنة ١٩٥١م قادت درية شفيق تظاهرة نسائية كبرى إلى البرلمان المصرى للمطالبة بالمساواة بين المرأة والرجل فى الحقوق الإنتخابية.

وانطلقت النساء من قاعة «يورت» فى الجامعة الأمريكية، حيث كن يعقدن مؤتمرهن إلى مبنى البرلمان المصرى، وهن يحملن لافتات كتب عليها: «نريد الحرية والمساواة والسلام» و «الدستور والديمقراطية معنا».

وكانت المتظاهرات يهتفن بسقوط الرجعية وأن «البرلمان للنساء والرجال» والاستعمار عدو المرأة.

ووصلت المتظاهرات إلى البرلمان وقَدَّمْنَ إلى مجلس الشيوخ والنواب القرارات التى اتخذنها فى مؤتمرهن.

ووزعت المتظاهرات على أعضاء البرلمان منشورات تقول:

«باسم الإنسانية التى تربطنا جميعاً نحن الرجال والنساء، وباسم الوطن الذى نكافح من أجل حريته نحن الرجال والنساء، وباسم الدستور الذى ساوى بيننا نحن الرجال والنساء يعلن إليكم المؤتمر النسائى العام المنعقد اليوم والذى يمثل نصف الأمة، يعلن إليكم أنتم الذين تمثلون النصف الآخر حق نساء مصر فى أن يشاركنكم الجلوس تحت هذه القبة، ليكون التعبير عن آلام وآمال الشعب، تعبيراً صادقاً وأميناً».

ولم تتوقف جهود درية شفيق للمطالبة بحقوق النساء، فلما لم تستجب الحكومة لمطالب المؤتمر النسائى العام والتظاهرة التى أعقبته فى ١٩ فبراير سنة ١٩٥١، اللذين قادتهما درية شفيق، قررت هى ومجموعة من زميلاتها الاعتصام فى نقابة الصحافيين والإضراب عن تناول الطعام، وكان ذلك يوم ١٢ مارس ١٩٥٤، وقد أحدث هذا الأعتصام دوياً إعلامياً كبيراً، حيث اهتمت الصحافة الأجنبية بالحدث، وجاء مراسلوها لتغطيته وإجراء الأحاديث مع المعتصمات لمعرفة أسباب الأعتصام ومطالبهن، مما دفع السلطات المصرية للاتصال بالمعتصمات طالبة منهن تقديم مذكرة بمطالبهن.

روح ثائرة

وفى يوم الحادى والعشرين من مارس، حمل محافظ القاهرة «محمود نور» رسالة شفهية من رئيس الجمهورية تقول: «كلفنى السيد الرئيس محمد نجيب بأن أبلغكن بأن مطالبكن قد وصلت إلى اللجنة المختصة بالنظر فى تكوين الجمعية التأسيسية للنظر فيها وحقوقكن فى أيد أمينة، وانتهى الإضراب عن الطعام بعد ذلك التصريح.

الإضراب عن الطعام مرة أخرى

وعلى الرغم من أن الدستور المصرى الجديد الذى أعُلن فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ قد أعطى المرأة ولأول مرة حق الأنتخاب، إلا أن الاتحادات النسائية بدأت

تنهار ويقل دورها بعد أن أخضعت الدولة نشاطها لوزارة الشؤون الاجتماعية لفرض مزيد من الرقابة على أنشطتها، ومن بينها «اتحاد بنت النيل».

ونتيجة للحصار الذى فُرِضَ على أنشطتها، والتجاهل والتعتيم الذى مارستهما أجهزة الإعلام عليها، أقدمت الدكتورة درية شفيق يوم الأربعاء ٦ فبراير ١٩٥٧م على الأعتصام والإضراب عن الطعام مرة أخرى فى دار السفارة الهندية فى حى الزمالك فى القاهرة، وأصدرت بياناً سلمته لوكالات الأنباء الأجنبية قالت فيه:

«أمام الظروف القاسية التى تمر بها مصر قررتُ بعزم أكيد أن أقوم بالاضراب عن الطعام حتى الموت، وذلك ابتداء من اليوم الإربعاء ٦ فبراير سنة ١٩٥٧، فى السفارة الهندية فى القاهرة، وذلك لاستخلاص حريتى الخارجية والداخلية وإننى كعربية ومصرية، أطلب من السلطات الدولية العمل على انسحاب القوات الإسرائيلية فوراً من الأراض المصرية، والوصول إلى حل عادل ونهائى لمشكلة اللاجئين العرب، وأطلب من السلطات المصرية رد الحرية التامة للمصريين جميعاً رجالاً ونساء».

إغلاق وحصار

وأصدرت الحكومة على الفور قراراً بإغلاق مجلة «بنت النيل» ومجلة «المرأة الحديدة» ومجلة «الكتكوت» كما أوعزت للجمعيات النسائية ورئيساتها باستنكار موقف درية شفيق، وحاصرت الشرطة مكتب الدكتور نور الدين رجائى زوج الدكتورة درية شفيق، وكانت تقبض على كل زبون من زبائن المكتب.

كل هذه المواقف بالإضافة إلى خوفها على حياة زوجها وأسرتها، حماية له جعلتها تفضل العزلة وتطلب من زوجها الطلاق حماية له، ورغم هذا الإنفصال كانت العلاقات بينهما ودية، وعاشت درية فى وحدتها حزينة، فقد تخلى عنها أنصارها وانقطعت صديقاتها عن زيارتها خوفاً من الأعتقال، ومُنعت الصحف من ذكر اسمها.

وبقيت درية شفيق معتزلة فى شقتها طوال ١٨ عاماً، لا تزور أحداً ولا يزورها أحد.

وكما كانت ثائرة فى حياتها، تميل إلى المواقف العنيفة، واضحة وصريحة، أرادت أن تعلن رفضها لكل ما عانته من ظلم وما رأته من جحود، فقررت أن تنهى حياتها فى ضجة وجلبة، معلنة بصوت عال نبأ وفاتها، ففى ظهر يوم ٢٠ سبتمر سنة ١٩٧٥، أنهت درية شفيق حياتها بأن ألقت بنفسها من شقتها فى الدور السادس.

وقد تركت درية شفيق، عدة كتب منها: «المرأة المصرية منذ الفراعنة إلى اليوم»، «رحلتى حول العالم»، وكتاباً بالفرنسية بعنوان: «إننى فى الجحيم» وفيه تقارن بين الجحيم الذى عاش فيه الشاعر «دانتى» وجحيم حياتها، وكانت تكتب الشعر باللغة الفرنسية التى كانت تجيدها كأهلها تماماً، كما حاولت قبل رحيلها وفى وحدتها ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية.